African Journal of Advanced Studies in Humanities and Social Sciences (AJASHSS)
المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية
Online-ISSN: 2957-5907
Volume 2, Issue 1, January-March 2023, Page No: 115-132
Website: https://aaasjournals.com/index.php/ajashss/index

ملامح من وجود الأرمن في دار الإسلام

د. الأمين معاذ عثمان صالح[1]، أ.د الطاهر حاج النور أحمد زروق[2] *
[1،2] قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة زالنجي، زالنجي، ولاية وسط دارفور، السودان

Features of the presence of the Armenians in Dar al-Islam

Dr. Elamin Maaz Osman Saleh[1], Prof.Dr. Eltahir Hajalnour Ahmed Zaroog[2*]
[1,2] Department of History, Faculty of Education, University of Zalingei, Zalingei, Central Darfur State, Sudan

*المؤلف المراسل	eltahir2015@gmail.com	*Corresponding author
تاريخ الاستلام: 2022-12-10	**تاريخ القبول:** 2023-01-07	**تاريخ النشر:** 2023-01-16

الملخص
خرج الأرمن من أرمينيا على مر سنين طويلة وعاشوا في شمال الشام وشمال إقليم الجزيرة وكونوا سلطات في مدن وقلاع وهم نصارى على الطائفة الكاثوليكية ولم يشكلوا خطورة على أحد إذ كانوا على وفاق مع البيزنطيين النصارى رغم اختلاف المذاهب، لكن لما استولى المسلمون على مناطقهم التي أصبحت ثغورًا للمسلمين أصبحوا يشكلون أقلية ورعايا للمسلمين أحيانا وللبيزنطيين أحيانا أخرى بحسب من يسيطر على مناطقهم، كما صاروا رعايا للصليبيين ثم المغول، وقد تميزوا بكرههم للإسلام وأهله فعملوا على الكيد له في وقت كثرت فيه الدويلات الضعيفة المختلفة فكان حتما عليهم انتهاج هذا النوع من السياسة أو السيرة ليحافظوا على مناطقهم وكياناتهم وخصوصياتهم في العادات والتدين والمكاسب القديمة ومما يؤكد ذلك سرعة ائتلافهم مع غيرهم وسرعة تبدُّل الائتلاف بعداوة فقد اتفقوا مع كل الدويلات حولهم كما اختلفوا مع جميع الدويلات حولهم لذلك كان ولاءهم يتحول من فئة لأخرى.

الكلمات المفتاحية: الأرمن، الاسلام، دار الاسلام.

Abstract
Armenians stepped out of Armenia pass many years ago. Lived in the north of Sham, north of the Jazeera region, and formed authorities in cities and castles, they were Christians in a catholic sect, and they did not form a danger to anyone. They were in accord with Byzantine Christians spite the difference in doctrines, but when the Muslims captured their zones, which became gaps for Muslims. They became shaping the minority and patronage for Muslims occasionally. For Byzantines occasionally new. Accordingly, who dominates their zones, as they strode patronages for crusaders than the Mongols. They have been characterized by their hatred for Islam and its relatives. They worked on machination to it in the time abounded the different weak statelets, and it was definitely for them to process this kind of policy. Alternatively, keep going to maintain their zones,

entity their particularities in customs, religion and their ancient gains. Therefore, that ascertains the rapidity of their alliance with others and rapid change of alliance with enmity, and they agreed with all statelets around them as they disagreed with all statelets around them Therefore, their loyalty was turned up from one denomination to another.

Keywords: Armenians, Islam, Dar al-Islam.

تمهيد

تتميز منطقة شمال الشام وشمال إقليم الجزيرة وهي المجاورة لبيزنطة وأرمينيا وأذربيجان بالاضطراب منذ أواخر القرن الثالث الهجري وذلك نتيجة طبيعية لضعف كل القوى بالمنطقة وما يحيط بها من دول، فقد سكن المنطقة أخلاط من السكان ينتمون إلى قوميات مختلفة ويدينون بديانات متعددة الأمر الذي جعلها أشد اضطرابا من غيرها. وكغيرهم من الأمم تمدد الأرمن في البلاد المجاورة لهم خاصة في البلاد التي تقع إلى الجنوب والغرب من بلاهم حيث أنها منبسطة سهلةٌ فيها الحياة، بعكس بلادهم الأصلية الجبلية واستقروا هناك بأعداد كبيرة قبل دخول الإسلام بزمن طويل.

مشكلة البحث

بدخول الصليبيين منطقة الشرق المسلم واكتساح المغول للمنطقة بان الخطر الذي تمثله القومية النصرانية الكاثوليكية الأرمنية على الأمة المسلمة ومن خلال الصراع الطويل بين المسلمين والصليبيين والمغول في الشام وآسيا الصغرى يلاحظ أن الأرمن في أكثر الحالات كانوا معادين للمسلمين مما جعلهم في موضع اتهام دائم، إذ لم يتخذوا حليفا استراتيجيا دائما يسندهم ويقف معهم في ساعات الشدة بل اختاروا علاقات متغيرة مع الكل تسوء وتتحسن حسب الظروف. فقد عاشوا في دار الإسلام وأقاموا غالبا في أسيا الصغرى لكن تميز وجودهم في المنطقة بالعداء المستمر مع عامة دويلات المسلمين المبعثرة حولهم ليس لأنهم في الغالب نصارى لكن سكنهم وعيشهم بالقرب من الروم البيزنطيين النصارى قد أعانهم في المحافظة على هويتهم الدينية في مواجهة المد الإسلامي المتسارع، لكن العلاقة بينهم وبين الروم أيضا لم تكن ودية دوما بل كانت متقلبة وكذا كانت علاقتهم بالصليبيين أيضا فهل عدم الاستقرار في التعامل هو الذي أعطى انطباعا عاما بأنهم العدو اللدود للمسلمين خاصة والعدو للجميع عامة ؟.

أهداف ومنهجية البحث

تهدف هذه الدراسة إلى تعليل كيف استعصت أرمينيا على المسلمين فلم يسكنوا فيها أو يُغيروا في سكانها من الناحية الدينية كما تهدف إلى إلقاء الضوء وشرح الأحوال السياسية للأرمن في المناطق التي سكنوا فيها وامتلكوها خارج أرمينيا، كما تهدف إلى شرح أسباب تغبُّر ولائهم وتفاعلهم المستمر بين الأمم والدويلات المتناثرة حولهم والمتسمة عامة بالضفف، كما تشرح الدراسة كيف استحق الأرمن صفة العدو الدائم للمسلمين وذلك باستخدام المنهج التاريخي الوصفي.

أرمينيا والأرمن

أرمينية بالتاة المربوطة في نهايتها أو أرمينيا بالألف (أرمنستان) سماها الآشوريون باسم أرارتو، وسماها العبرانيون باسم أرارات، ومن جاء بعدهم من الأمم سموهم الأرمن، وأرمينيا حديثا كانت إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتى قبل سقوطه سنة 1411هـ / 1991م، تقع في غرب آسيا وتحدها من الشمال جمهورية جورجيا، ومن الشرق آذربيجان ومن الغرب تركيا ومن الجنوب إيران، ونظرًا لهذا الموقع الفريد فقد كانت منذ القدم مطمعًا لقوى عديدة، ومساحتها نحو (300.000) كم2 وتبدو للناظر إليها من بعيد كأنها جزيرة من الكتل البركانية، تنهض بين البلدان التي تحيط بها. ويبلغ عدد سكانها (3.3) مليون نسمة يشكل المسلمون

منهم نسبة13% حسب إحصائية سنة 1987م [1].. وبحسب إحصائية 2002م بلغ عدد المسلمين منهم400000نسمة يشكلون نسبة 12% من جملة السكان، وإذا صدقت الإحصائيتان فإن نسبة المسلمين فيها تتناقص ببطيء [2]. وقد عاش المؤرخ الجغرافي اليعقوبي في أرمينية زمنا وقسمها في كتابه إلى ثلاثة أقسام هي: -

القسم الأول: يشتمل على قاليقلا، وخلاط، وشمشاط وما بين ذلك.

القسم الثاني: يشتمل على خزان (جرزان) وتفليس، ومدينة باب اللان وما بين ذلك.

القسم الثالث: يشتمل على بردعة وهي مدينة الران والبيلقان وباب الأبواب[3].

ويعيد تقسيم اليعقوبي إلى الأذهان أن أرمينيا يُقصد بها جهتان أولاهما هي أرمينيا الأم والأخرى هي أرمينيا الصغرى وهي ما يعنيه بالقسم الأول ويُقصد به الوجود الأرمني في آسيا الصغرى وهي المعروفة عند المسلمين بمنطقة الثغور، ذلك أن الأرمن كثيرا ما نزحوا من بلادهم بسبب الحروب الكثيرة المتلاحقة صوب المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية لبلادهم. أما قدامة بن جعفر فقسمها في كتابه الخراج وصناعة الكتابة إلى أربعة مناطق هي أرمينيا العليا وأرمينيا الثانية والثالثة والرابعة[4]

يحسب الأرمن من ضمن الشعوب الهندوربية [5]. ويُرجع ابن خلدون نسبهم الى سيدنا إبراهيم عليه السلام [6] وأكثر ما يتواجدون فيه هي منطقة سيس[7].

خلفية تاريخية عن الأرمن

على مر التاريخ احتفظ الأرمن بحكومات مستقلة، وعادات وفنون خاصة بهم، قروناً كثيرة تبدأ منذ فجر التاريخ المدون، وتستمر إلى أن بسط الفرس سلطانهم على آسية الغربية بأجمعها. ففي أيام أرجستس الثاني (708 ق. م) أعظم ملوكهم أصبحوا أثرياء من تعدين الحديد وبيعه في بلاد آسية واليونان خاصة وأن بلادهم جبلية تتوفر فيها المادة الخام للحديد، وبلغوا درجة عظيمة من الرخاء وسهولة العيش والحضارة والآداب العامة، وشادوا المباني العظيمة من الحجارة، وصنعوا المزهريات والتماثيل الصغيرة الجميلة الدقيقة. ولكنهم أضاعوا ثروتهم في حروب هجومية عالية الكلفة والنفقات، وفي صد غارات الآشوريين عن بلادهم. ثم بسط الفرس سلطانهم عليهم في أيام قورش الفاتح [8]. وقد وقع الأرمن تحت سيطرة اليونانيين عندما غزاهم مرقوس وقيصر وانتصرا عليهم[9] . وفي عهد بطلميوس فيلاذلفوس خلع الأرمن طاعة ملوك اليونان ونصبوا لهم ملكا اسمه ارشك فسمّوا به فقيل ارشكونية. ثم خضعت أرمينيا للفرس مرة أُخرى أيام أنوشروان حتى جاء الإسلام وحينها كانت أمور حكمهم مُبعثرة بين عدة حكام فصاروا كملوك الطوائف حتى ملكهم أرمنياقس وكان بارعا في سياسة الناس حكيما في حكمه فجمعهم تحت ملكه ثم مات فملكتهم بعده امرأة وكانت تسمى قالي فبنت مدينة وسمتها قالي قاله، ومعناه إحسان قالي، وصوّرت نفسها على باب من أبوابها ونطق العرب الاسم فقالوا قاليقلا.

---

[1] - مجموعة من المؤلفين الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، نقلا عن: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي ج11، ص125.

[2] - د.شوقي أبوخليل، أطلس دول العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق،2003م.

[3] - اليعقوبي: أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422 هـ، ص208.

[4] - قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج، الخراج وصناعة الكتابة، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981 م، ص222.

[5] - ول ديورَانت: ويليام جيمس ديورَانت، قصة الحضارة، تقديم: د. محيي الدّين صَابر ترجمة: د. زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1408 هـ - 1988 م، ج2، ص300

[6] - ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت. الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م ج5، ص148.

[7] - ابن فضل الله العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، 1423 هـ/ ج 3، ص182.

[8] - ول ديورَانت،قصة الحضارة، ج2، ص303.

[9] - إبن العبري: أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون بن توما الملطي تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق للنشر، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1992 م ص72.

قال بطليموس: مدينة قاليقلا طولها ستون درجة، وعرضها ثمان وثلاثون درجة وهي في الإقليم الخامس، وفي معجم البلدان[10] ورد ما نصه (قاليقلا في الإقليم الرابع، طولها ثلاث وستون درجة . ولعل قاليقلا هي عاصمة مملكة آرمينية الصغرى التي نشأت لاحقا بعد أن سيطر السلاجقة على مملكة أرمينيا الكبري فهاجرت آلاف الأسر رافضة السيطرة السلجوقية صوب الجنوب الغربي حوالي عام 472هـ /1080 م وعبرت جبال طوروس نحو أسيا الصغرى وانضمت إبى من سبقها في الهجرة إلى المنطقة وكونت مملكة أرمينيا الصغرى التي عاشت لثلاثة قرون في آسيا الصغرى منطقة الثغور وأنشأت مدن شهيرة مثل سيس وسميساط وخلاط وقرى مثل تل باشر وغيرها وحصون وقلاع مثل حصن بُغراس وحصن القرين وغيرها، أما أرمينيا الكبرى المعقل الأساسي للأرمن فقد ظلت تُحكم بواسطة الأتراك سلاجقة الروم والمغول والكرد[11] وبذلك كانت مسرحا لصراع قوى أكبر منها على مر التاريخ وخير مثال لذلك الصراع أن الروم البيزنطيين زمن امبراطورهم رومانوس أصرّوا على القضاء على سلاجقة الروم في أرمينيا المهمة جدا لبلادهم فاصطدموا بألب أرسلان السلجوقي في منطقة ملاذكرت سنة 463هـ / 1071م وتكبدوا خسائر هائلة إذ أُسر امبراطورهم وفدى نفسه بمال كثير وقد أنهت معركة ملاذكرد النفوذ البيزنطى فى أرمينيا، وفتحت المجال لامتداد النفوذ الإسلامى السلجوقى إلى آسيا الصغرى، وتهديد العاصمة البيزنطية وما وراءها فى أوربا ولذلك استنجد البيونطيون بالنصارى الكاثوليك خوفا من المسلمين فأصبحوا بذلك من المنادين بالحروب الصليبية.

فتوح المسلمين في أرمينيا

لما تنصر الإمبراطور الروماني قسطنطين حمل الروم على دين النصارى، فتنصروا عن آخرهم على مذهب الأرثوذكسية وأثّروا على من جاورهم من الأمم كالأرمن[12] 0 الذين شكلوا عددا مقدرا من جند الروم في معاركهم مع المسلمين أيام فتوح الشام[13]،

وخاصة في معركة اليرموك حين قادهم جرجير الأرمني ومعه ثلاثين ألفا من الأرمن وقاتل بهم قائد جند المسلمين شرحبيل ابن حسنة[14]

وفي فتح المسلمين للرها وحران بقيادة عياض بن غنم قاد جيش الروم رجل من الأرمن اسمه أرجوك ومعه ثلاثة آلاف مقاتل أرميني.

بدأ المسلمون فتح أرمينية منذ زمن الخليفة عمر بن الخطاب إذ تولى سراقة بن عمرو مهمة الفتح فاستأمن له رجل من أهل فارس يُدعى شهربراز وهو أمير على المنطقة وعقد معه اتفاقا نصّ على اعطائهم الأمان لأنفسهم وأموالهم واشترط عليهم جملة من الشروط كما التزم لهم بجملة من الالتزامات، ووجّه سراقة بعد ذلك بكير بن عبد اللَّه وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن أسيد وسلمان بن ربيعة إلى أهل المناطق الجبلية فوجه بكيرا إلى موقان، ووجه حبيبا إلى تفليس، وحذيفة بن أسيد وسلمان بن ربيعة إلى جبال اللان، وكتب سراقة بالفتح وبالذي وجه فيه هؤلاء النفر إلى عمر بن الخطاب ولما مات سراقة ولّى الخليفة عمر بن الخطاب عبد الرحمن بن ربيعة سنة 21 هـ /643م والذي في زمان ولايته فتحت منطقة موقان بواسطة القائد بكير الذي عاهدهم وأمنّهم على أموالهم وأنفسهم وملتهم وشرائعهم وفرض عليهم الجزية دينارا على كل حالم أو قيمته[15] .

---

[10] - ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (المتوفى: 626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1995 م ، ج4، س299.

[11] - ول ديورَانت، قصة الحضارة، ج15،ص152.

[12] - مع ملاحظة أن الأرمن كان يميلون إلى الكاثوليكية نوعا ما مما شكل فارقا مع الإرثوذكس الروم ومنع كامل تطابق المذاهب بين الجانبين، ول ديورَانت، قصة الحضارة، ج15، ص152.

[13] - د محمد سهيل طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، 1424هـ /2003م، ص155.

[14] - الواقدي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي المدني، فتوح الشام، دار الكتب العلمية، 1417هـ / 1997م، ج1، ص 203.

[15] - الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، الطبعة: الثانية - 1387 هـ، ج4، ص156.

شهدت خلافة عمر بن الخطاب إرسال حملتين كبيرتين ضد بلاد الأرمن لفتحها وقاد الحملة الأولى عياض بن غنم بن عامي 19-20هـ/ 640-641م، فدخل أرمينية من الجنوب الغربي حتى بلغ بدليس، وأغار على مقاطعتي جولتين الواقعة في منطقة جولقا التابعة لولاية سيونيك، وناختشيفان، فعبر نهر الرس عند مخاضة جولقا، ومر بالأرتاز عند قاسبوراكان، ووصل إلى كوجوفيت حيث كان يعسكر القائدان البيزنطي، بروكوبيوس والأرميني تيودور الرشتوني الذي برز في خدمة الدولة البيزنطية، فاصطدم بهما كل على حدة، مستغلا اختلافهما حول كيفية التصدي له، فكمن تيودور الرشتوني للمسلمين بالقرب من مضيق ساراتكين لكنه هُزم، وانسحب إلى مدينة جارني ولما حاول بروكوبيوس بدوره مهاجمة المسلمين هُزم أيضا[16] . وقاد الحملة الثانية المكونة من أربعة فرق في عام 21هـ/ 642م اثنان من خيرة قادة المسلمين هما حبيب بن مسلمة، وسليمان بن ربيعة الباهلي، فهاجما حدود أرمينية من الشمال الشرقي وواجها مقاومة عنيفة، ومع ذلك فقد دخل المسلمون إلى مدينة دوين عاصمة بلاد الأرمن في 21هـ/ 642م، إلا أنهم لم يستقروا فيها بسبب الضغط الأرميني وغادروها بعد أن غنموا مقادير هائلة من الغنائم، وحملوا معهم كثيرًا من الأسرى، لكن تيودور الرشتوني تعقّب جيش المسلمين أثناء خروجه من المنطقة في محاولة لاستعادة الغنائم والأسرى إلا أنه فشل في مهمته، عليه كان من الطبيعي بفعل المقاومة العنيفة التي واجهها المسلمون أن تنتهي هاتان الحملتان دون نتيجة إيجابية من واقع الفشل في فتح البلاد، والاستقرار في الربوع الأرمينية.
في أيام خلافة عثمان بن عفان وخلال فتح أذربيجان شارك شلة من الأرمن مع الآذربيجانيين لمقاومة الفتح الإسلامي فعندما دخل الوليد بن عقبة أذربيجان ثم أراد الخروج منها ولّاها الأشعث بن قيس لكنها سرعان ما تمردت عليه فكتب الأشعث إلى الوليد يطلب المدد فأمده بجيش عظيم به تتبع القرى والمدن ففتحها وصالح بعضها بمثل صلح حذيفة وعتبة بن فرقد واسكنها ناسا من العرب من أهل العطاء والديوان وأمرهم بالدعوة إِلَى الإِسلام، ثم تولى سعيد بن العاصي إمارة المنطقة فغزا باقي مدن أذربيجان فأوقع بأهل موقان وجيلان. وتجمع له بناحية أرم وبلوانكرح جماعة من الأرمن وأهل أذربيجان فوجه إليهم جرير بن عبد اللَّه البجلي فهزمهم وأخذ رئيسهم فصلبه عَلَى قلعة باجروان، وفي عهد علي بن أَبِي طالب أُعيد تكليف الأشعث إلى أذربيجان فلما وصل إليها وجد أكثر أهلها قد أسلموا، فأسكن في أردبيل جماعة من أهل العطاء والديوان منَ العرب ومصّرها وبنى مسجدها. وقد سكن العرب من أهل مصر والشام في أذربيجان وغلب كل قوم على ما أمكنهم فساد الإسلام البلاد على نقيض جارتها أرمينيا[17].
استكمل سليمان بن ربيعة الباهلي في سنة 24 هـ /644م فتح أرمينيا، وكان الأرمن يأملون أن يعينهم الروم في الدفاع عما تبقى من بلادهم ولكن خاب أملهم في بيزنطية التي رفضت المشاركة معهم في الدفاع عن بلدهم وحمايتهم، فاضطر القائد الأرميني تيودور الرشتوني، الذي تخلت بيزنطية عنه بسبب ميوله المذهبية المعادية، وموقفه السابق من القائد الإمبراطوري بروكوبيوس في معركة ساراكين إلى إجراء مفاوضات منفردة مع المسلمين انتهت إلى التسوية التالية:
- يعترف المسلمون باستقلال الأقاليم الأرمينية.
- يعترف الأرمن بسيادة المسلمين عليهم بالشروط نفسها التي سبق للفرس أن مارسوا بها سيادتهم على أرمينية.
- يُعيِن المسلمون حاكما أرمينيا عاما على أرمينية.
- يضع الأرمن فرقة عسكرية تعدادها خمسة عشر ألف جندي تحت تصرف المسلمين.
ومن الواضح أن المعاهدة كانت مناسبة للأرمن من واقع وضعهم الحرج بعد إحجام بيزنطية عن مساعدتهم، في حين أنها سببت لبيزنطية خيبة أمل كبيرة لأن البيزنطيين كانوا يأملون في استمرار اضطراب الجبهة الأرمينية لتخفيف الضغط عن الجهات الأخرى مع المسلمين، كما أن الأرمن لم يكونوا راغبين في التضحية بأنفسهم من أجل إمبراطورية هرمة، أضحت عاجزة عن حماية كل أراضيها.

[16] - د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، ص283.
[17] - البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت،1988 م، ص220.

لم ترحب بيزنطية بهذا الاتفاق الذي سلخ أرمينية عن التبعية البيزنطية، لذلك قاد الإمبراطور البيزنطي قنسطانز الثاني في عام 34هـ/ 654م جيشا إلى الأراضي الأرمينية، بهدف إعادتها إلى إلى الحظيرة البيزنطية ولما وصل إلى ترجان أنذره المسلمون بعدم دخول الأراضي الأرمينية لكنه لم يعر الإنذار اهتماما واستمر في زحفه حتى وصل إلى ثيودوبوليس وعسكر فيها واستقبل عددًا كبيرًا من الإقطاعيين وحكام المناطق الأرمينية الذين ساءهم الانسلاخ عن البيزنطيين وتخلوا عما تعهدوا به لتيودور الرشتوني، وكذلك فعل البطريرك الذي تنصل أمام الإمبراطور من الاتفاق مع المسلمين، وتبرأ مما فعله القائد الأرميني المذكور.

تشجع الإمبراطور بهذا التغيير الولاني من جانب قادة الأرمن، فدخل الأراضي الأرمينية، وعزل تيودور الرشتوني، وعيّن هامازسب ماميكونيان مكانه، و شرع في توحيد أرمينية تحت قيادته وسلطته ساعده على كل ذلك الأوضاع التي تمر بها بلاد المسلمين عقب مقتل الخليفة عثمان بن عفان في عام 35هـ/ 656م مما دفع معاوية بن أبي سفيان إلى عقد صلح مع البيزنطيين في عام 38هـ/ 659م، وقد تأثر وضع أرمينية بهذا الاتفاق من واقع استئناف الأسر الأرمينية الإقطاعية صلاتها بالبيزنطيين، وانحسار النفوذ الإسلامي عن هذه البلاد، وعودة النفوذ البيزنطي خاصة وأن معاوية سحب القوات الإسلامية المرابطة في أرمينية[18]، ليدعم موقفه في الصراع مع علي بن أبي طالب الذي ولّى الأشعث أذربيجان.

في أيام الأمويين توسعت الدولة الإسلامية وأصبحت تتكون من سبعة أقسام إدارية تتمثل في سبع ولايات منها إقليم الجزيرة: ويشمل ولايات الموصل وأرمينيا، وأذربيجان. ومن أشهر ولاة أرمينيا وآذربيجان مروان بن محمد الجعدي[19] الذي أصبح أخر خلفاء بني أمية وقد تولاها زمن الخليفة هشام بن عبدالملك .

وفي فتوح الرها وحران نجح عياض بن غنم[20] في استمالة بعض القادة المحليين مثل رودس صاحب حران مستفيدا من كثرة الخلافات بينهم فاستولى على المدينة وألقى القبض على أرجوك بن أرسوس وبفضل الحِيل نجح أيضا في انتزاع الرها من كيلوك .

وجّه عياض بن غنم القائد حبيب بن مسلمة الفهري من شمشاط إلى ملطية ففتحها ثم سقطت، فلما ولي معاوية الشام والجزيرة أعاد توجيه حبيب بن مسلمة إليها ففتحها عنوة ورتب فيها رابطة من المسلمين مع عاملها وعندما جاءها معاوية وهو يريد دخول أرض الروم زودها بجماعة من أهل الشام والجزبرة وغيرهما فأصبحت الطريق للصوائف، ثم أن أهلها انتقلوا عنها فى أيام عبد الله بن الزبير فاحتلها الروم ثم تركوها فنزلها قوم منَ النصارى منَ الأرمن والنبط. وكان المسلمون قد نزلوا طرندة بعد أن غزاها عبد اللَّه بن عبد الملك سنة 83هـ/ 703م وبنوا بها مساكن وهي قريبة من ملطية على مشارف بلاد الروم وملطية حينها بها أُناس من أهل الذمة الأرمن[21] فكانت تأتيهم طالعة من جند الجزيرة في الصيف يستقرون بها إلى أن يحل الشتاء وتسقط الثلوج فيعودوا إلى إقليم الجزيرة،

أما مدينة قاليقلا فلم تزل منذ فتحت ممتنعة بمن فيها من أهلها أما ملطية فقد خرج الموريان الرومي في سنة 133هـ /750م فحاصرها وهدم حائطها وأجلى من بها منَ المسلمين إِلَى الجزيرة ثم نزل بمرج الحصى ووجه كوسان الأرمني الذي أتى إلى قاليقلا فحاصرها وأهلها يومئذ قليل وعاملها من قبل المسلمين هو أَبو كريمة فنقب إخوان من الأرمن من أهل المدينة ردما كان في سورها وخرجا إِلَى كوسان فأدخلاه المدينة فتغلب عليها، فقتل وسبى وهدمها وساق ما سبى إلى الموريان الذي فرّق السبي على أصحابه ولكن الخليفة أبو جعفر المنصور فادى من كان منهم حياً لاحقا في سنة 139هـ / 756م وبناها وعمرها ورد من فادى به إليها وأرسل إليها جندا من أهل الجزيرة، لما فتح حبيب مدينة قاليقلا سار حتى نزل مربالا فأتاه بطريق خلاط بكتاب عياض بن غنم، وكان عياض قد أمنه عَلَى نفسه وماله وبلاده وقاطعه على إتاوة فأقرّ حبيب ما كان عمله عياض[22]، ثم نزل بين الهرك ودشت الورك فأتاه بطريق خلاط بما عليه منَ المال .

---

[18] - البلاذري، فتوح البلدان، ص220

[19] - الواقدي، فتوح الشام، ج2، ص203.

3-الواقدي: مرجع سابق، ج2، ص118.

[21] - البلاذري، فتوح البلدان، ص185.

[22] - نفس المرجع، ص198.

في سنة 673 هـ / 1274م هاجم الظاهر بيبرس ملك سيس والمصيصة ابن هيثوم الأرمنيّ وفتك بالأرمن فتكا ذريعا[23] وأحرق وسبى وهدم وكان فتحا عظيما، ثم عاد إلى الديار المصرية

بدخول التتر منطقة الثغور وضعف الدويلات المسلمة في المنطقة كانت أغلب مدن الثغور تحت حكم الصليبيين والمغول وبعد أن أفاقت الأمة الإسلامية من هول الاكتساح المغولي بدأ حكامها في العمل على تقويتها، وأدركوا مدى الخطر العظيم الذي يمثله نصارى الأرمن على حدود الدول الشمالية، فخططوا لإخضاعهم وكسر شوكتهم، وكان ذلك في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس. وكان قازان حفيد هولاكو يرغب في تحطيم سلطان المسلمين في مصر واسترداد الأرض فهاجم السلطان بيبرس المملوكي مدن سيس وإياس وحدثت معركة مرج الصُّفر سنة 702 هـ / 1303م وتغلب على التتار وتساقطت مدن الثغور الواحدة تلو الأخرى في يد المسلمين[24]، وبذلك أتمت الجيوش الإسلامية استعادتها .

وبعد عقدين أي في سنة 721هـ /1321م وصل جيشا مؤلفا من مصريين وشاميين وعسكر من حماة إلى حلب، واقتتلوا مع إياس حاكم سيس، واستولوا عليها وعصت عليهم القلعة التي في البحر، فنصبوا عليها منجنيقاً عظيماً فهربت الأرمن منها، وأخلوها وملك المسلمون القلعة وهدموا ما قدروا على هدمه، وعاد كل عسكر إلى بلده[25].

اضطربت شام المسلمين بعد عهد الدولتين النورية والصلاحية، وجاورها الأعداء من جميع الجهات ومن بينهم صاحب سيس الأرمني خاصة وأن الأرمن قد جمعوا شملهم بعد أن قضت الدولة الأيوبية على سلطانهم، وانتزعت منهم خلاط، وكانت خلاط قاعدة أرمينية الوسطى قد احتلها بنو أيوب، وقد ذهب الملك الأشرف سنة 691هـ / 1291م في عساكره المصرية والشامية وقصد قلعة الروم وهي على جانب الفرات يقيم بها خليفة الأرمن كيتاغيكوس فأسره ومن معه[26]، ورمَّم ما تخرب من تلك القلعة الحصينة.

الأرمن في دار الإسلام

ظل غالب الأرمن على نصرانيتهم في بلادهم الأم، وحتى اليوم نسبة المسلمين فيها ضعيف وفي ثغور بلاد الاسلام حيث استقروا احتفظ غالبهم بنصرانيته، لكن من بين من سكن الثغور من الأرمن هناك من أسلم وحسن إسلامه فظهر منهم قادة لجند المسلمين وشعراء وزعماء صوفية وعلماء لعبوا دورا مهما في نُصرة الإسلام فمنهم الأمير علي بن يحيى الأرمني الذي غزا بلاد الروم في جيش المسلمين سنة 239هـ / 829م فتوغلَ فيها حتى وصل إلى مشارفَ القسطنطينية، فأحرق وقتل وسبى وعاد، وكذلك يُعرف الأفضل أبو القاسم بن بدر الأرمني بأمير الجيوش. وممن حسن إسلامه من الأرمن عبد الرحيم بن يحيى الأرمني، إبراهِيم بن سويد الأرمني ببيروت وهو من راوة الحديث النبوي الشريف. وعبد الرحيم بن يحيى الأرمني صاحب سفيان بن عيينة[27] وغيرهم الكثير من الأعلام الأرمنية التي وردذكرها في سفر ابن عساكر تاريخ دمشق ومن الأرمن من تقلد المناصب في البلاد الإسلامية مثل تاج الدّولة بهرام الأرمني النصراني، والذي لما تمكّن من البلاد استعمل بني جلدته من الأرمن، وأساء السيرة في الرعية[28]،

وكذلك تولي يرنقش الزكوي الأرمني، الخادم المتوفى 540 هـ/ 1145م إمارة أصبهان وإمارة العراق وكان من كبار رجال الدولة.. ومن الأرمن من دخل في الفرق وفسدت حياته وعقيدته مثل طلائع بن رزيك،

---

[23] - كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي، نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، حلب، الطبعة: الثانية، 1419 هـ، ج2، ص139

[24] - أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان، تقديم: أبو بكر الجزائري - محمد صفوت نور الدين - محمد عبد المقصود، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة، ص343.

[25] - أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، (ب ت)،ج4، ص91.

[26] - محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي ، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، الطبعة: الثالثة، 1403 هـ / 1983 م، ج2، ص130.

[27]. ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ / 1995 م ج6، ص421. أيضا جلال الدين السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1425هـ/2004م، ص،152.

[28] - الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، 2003 م،ج11، ص527.

الأرمني المصري الشيعي الرافضي، أبو الغارات، وزير الديار المصرية، الملقب بالملك الصالح. المتوفى سنة 556 هـ/ 1161م. وكان أديبا، شاعرا، سمحا، جوادا، محِبًّا لأهل الفضائل، وله دِيوان شِعر صغير[29].
ومنهم عبد الله بن يونس الأرمَنِي، الشيخ الزاهد القدوة نزيل سفح قاسيون، وهو من أرمينية الروم، وقيلَ من قونية[30]
وأيضا قراطاش بن عبد الله الأرمني أَبو عبد الله الزعيمي الأرمني البغدادي ويسمى عبد الله وقد انقطع إلى الخلوة وصحب الصوفِية وجاور بسقاية الراضي بجامع المنصور وبقي بها إلى حِين وفاته ملازما للخلوة ودوام العبادة وظهرت آثار الصلاح عليه[31]
ومنهم أيضا الأمِير تاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج بن نقول الأرمني الأسلمي والي قطا اسْتَقر عاملا بها زمانا وانتقل من عمالة قطا إلى وظِيفة الاستيفاء[32] . وغيرهم الكثير من الأرمن الذين برعوا وسادوا في بلاد المسلمين.
لم يكن التواجد الأرمني في دار الإسلام سلبيا دائما، فقد تعامل الطرفان في مرات قلائل وفق ما تقتضيه تقلبات السياسة للقوى المتواجدة في المنطقة فقد إلتجأوا إلى المسلمين وسلموا حصن ارتاح بطرابلس لفخر الملك ابن عمار لما لحق بهم جور الافرنج[33] وتزايد ظلمهم
لكن هذه الحادثة وإن بدت على نقيض مايوصفون به من غدر للمسلمين في شمال الشام على مدى التاريخ فالواضح فيها أنهم ما فعلوا ذلك حبا للمسلمين ولكن استجابة لمقولة بعض الشر أهون من بعض أي أن المسلمين على مساوئهم فهم أعدل لهم من الفرنج الصليبيين.
ومن المرات القلائل التي اعتمد فيها المسلمون على الأرمن في أحداث سنة 503هـ/ 1109م[34] أسكن المسلمون ورتبوا جماعةً من الأرمن لحفظ الرها وزودوا العسكر الواصل إليها بالمؤن .
عموما تعامل الأرمن في هذه الفترة المضطربة مع كل القوى بالمنطقة المسلمين بدويلاتهم المتعددة والنصارى الصليبيين والروم البيزنطيين والمغول التتر وفق ماتتطلبه الأحوال فقد طلب الظاهر بيبرس من صاحب سيس أن يتوسط لدى ملك التتر لإفتكاك أسرى ففعل.

أسباب العداء بين المسلمين والأرمن

هناك جملة من الأحداث والأسباب جعلت المسلمين يحسبون الأرمن أعداء دائمون فمنذ وقعة اليرموك شارك الأرمن مع الروم ضد المسلمين وذلك لكونهم نصارى كالروم مما شكل تقاربا بين الجانبين وإن اختلفت المذاهب، فعندما وصلت الأخبار إلى الملك هرقل بأن المسلمين قد فتحوا حمص والرستن وشيزر وقد استولوا على الهدية التي بعثها إلى هربيس البطريق فاستنفر كل من يحمل الصليب للمشاركة في قتال المسلمين، فما مضى عليه إلا أيام قلائل حتى صار أول جيوشه عنده بانطاكية وآخرها في القسطنطينية، فبعث جيشا إلى قيسارية بساحل الشام ليحمي عكا وطبرية وجيشا آخر إلى بيت المقدس وأقام ينتظر قوم ماهان الأرمني ملك الأرمن الذي جمع من الأرمن ما لا يجمعه أحد وقد وعظ هرقل الجنود المجتمعة[35] وحثها على القتال والصبر فيه .
. العبرة هنا هي أن أصل وأهم أسباب العداء المستحكم بين المسلمين والأرمن على مرّ الزمان كان بسبب تواجدهم في صف أعداء المسلمين إن لم يكونوا هم الأعداء أصلا، ولعل مشاهدة الأرمن في جيش أخطر عدو جابه المسلمين قد أوغر صدور المسلمين تجاه الأرمن فوضعوهم في مكان التهمة دائما ففي فتح دمشق

---

[29] الذهبي، مرجع سابق، ج12، ص111.
[30] - نفس المرجع، ج14، ص47.
[31] - صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت،1420هـ/2000م، ج24، ص166.
[32]-المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1418هـ /1997م ج5، ص433.
[33] - إبن القلانسي: حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي، تاريخ دمشق، تحقيق: د سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1403 هـ / 1983 م، ص229.
[34] - نفس المرجع، ص272.
[35]- الواقدي، مرجع سابق، ج21، ص148

رأى المسلمون كتبغانوين التتري النصراني وبصحبته الملك هيثوم النصراني ملك أرمينيا، والأمير بوهمند النصراني أمير أنطاكية فأكّد هيثوم اعتقاد المسلمين بأن الأرمن هم أشد أعداء الإسلام خُبثا ومُكرا[36] .

حينما جاءت الحملات الصليبية إلى العالم الإسلامي فرح بها الأرمن وقدموا لرجالها كلّ المساعدة، وأعانوهم على المسلمين، ودلّوهم على عوراتهم، بل إن الأرمن اشتركوا بصورة مباشرة في الحرب ضدَّ المسلمين، وكانوا عليهم أشد من نصارى أوروبا وأعنف، ولم يكتف الأرمن بذلك بل كان لهم أثر كبير في تشجيع المغول الوثنيين ودعوتهم لمهاجمة المسلمين، وعقد ملوك أرمينيا الصغرى تحالفاً معهم ضد المسلمين. ولما جاءت الجيوش المغولية واكتسحت العالم الإسلامي انضمت إليهم جموع النصارى من الأرمن، وكانوا لا يقلون عنفاً وقسوة في تعاملهم مع المسلمين. وهذا هو الذي جعل المسلمين يعدّون الأرمن أخبث عدو للمسلمين كما يقول أحد المؤرخين[37].

ومن أسباب العداء الدائم بين المسلمين والأرمن في سقوط قونية وهرقلة في 491هـ /1097م في أيدي الصليبيين الذين توجهوا إلى هرقلة وتمكنوا من السيطرة عليها بعد إلحاق الهزيمة بالأتراك السلاجقة، وعندما بلغت القوات الصليبية أرمينية الصغرى رحب بهم الأرمن وقدموا لهم كل مساعدة، فتوجهوا إلى مدينة أنطاكية فاحتلوها ثم الرها في زحفهم نحو بلاد الشام قاصدين بيت المقدس ولم يجدوا مقاومة تذكر نظراً للتمزق السياسي والخراب الاقتصادي لدول المنطقة في تلك المرحلة، علما بأن معظم سكان الجزيرة الفراتية كانوا حينها من نصارى الأرمن الخاضعين لحكم السلاجقة، وخاصة في تل باشر، ومرعش والراوندان والذين رحبوا بالغزاة، الصليبيين واعتبروهم منقذين لهم، وحماة للنصرانية في تلك الجهات فسار الأعوان والمرشدون من رجال الأرمن، حتى يسهلوا مهمة الزحف لقادة الغزو الصليبي بلدوين وتنكرد وقد تمكن الغزاة من احتلال طرسوس والمصيحة، وتل باشر والروانداان وهي قلاع حصينة في شمالي الجزيرة، وذلك بفضل مساعدة أهلها من الأرمن، ثم أرسل حاكم مدينة الرها ثوروس الأرمني إلى القائد الصليبي بلدوين يدعوه للحضور إلى الرها ليتسلم المدينة عام 491هـ/ 1098م خاصة وأنه خشي أن يحتلها أمير الموصل من قبل السلاجقة، فأسرع بلدوين على رأس قوة صغيرة استقبلت من قبل أهالي المدينة وحاكمها استقبالا حافلا، ومن ثم ثار أهالى الرها ضد حاكمهم، مما أدى إلى قتله، وانتقال مقاليد الأمور إلى بلدوين البولوني، الذي أُتهم بأنه كان وراء هذه الثورة ولم يقم بواجبه في حمايته[38]، كان الأرمن شديدي الميل للبيزنطيين والصليبيين وسريعي الانقياد لهم ففي معركة حارم بين الدولة النورية والإمبراطورية البيزنطية عام 559هـ/1164م شارك الأرمن مشكلين حلفا مؤثرا مع القوى الصليبية الأخرى في المنطقة[39] . كما دبَّروا مؤامرة في الرها التابعة للصليبيين للتخلص من وجود المسلمين في المدينة فقد وقف جوسلين الثاني على تلك النزعة فيهم فشجَّعهم على التمرد[40]

ولا شك أن هولاكو المغولي بحاجة إلى أن يعمق سوء هذه العلاقة بصورة أكبر لمواجهة الدويلات الإسلامية فأغدق بالهدايا والمكافآت على هيثوم ملك أرمينيا، وكذلك على ملك الكرج (هم سكان جورجيا الحالية في الماضي)، وكذلك على بوهمند أمير أنطاكية.

أكمل هولاكو طريقه غرباً بعد ذلك حتى وصل إلى إمارة أنطاكية، وهي في جنوب تركيا، وكانت إمارة حليفهُ النصراني الأمير بوهمند، وهناك حول أنطاكية ضرب هولاكو معسكره خارج المدينة، ثم دعا إلى إقامة مؤتمر للتفاكر في أحوال ومصير المنطقة حسب الرؤية المغولية، فبدأ الحلفاء المرعوبون من كل المنطقة يتوافدون على هولاكو وفي مقدمتهم هيثوم ملك أرمينيا، وأمير أنطاكية بوهمند، وكذلك أميرا

---

[36] -. راغب السرجاني: التتار من البداية إلى عين جالوت، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net ورقم الجزء هو رقم الدرس ، ج1، ص6.

[37] - أبو التراب، مرجع سابق، ص343.

[38] - نفس المرجع، ص343.

[39] عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامى لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1427 هـ - 2006 م، ص17.

[40] -. عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، القائد المجاهد نور الدين محمود زنكي شخصيته وعصره من الصليبيين، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 1428 هـ / 2007 م ص230

السلاجقة المسلمان كيكاوس الثاني وقلج أرسلان الرابع وبلادهما مجاورة لأنطاكية، وهناك أصدر هولاكو الأوامر والقرارات عليهم ومن أهمها:-

أولاً: يكافأ ملك أرمينيا هيثوم بمكافأة كبيرة من غنائم حلب وذلك تقديراً لمساعدات الجيش الأرمني له في إسقاط بغداد، ثم ميافارقين، ثم حلب.

ثانياً: على سلطاني السلاجقة كيكاوس الثاني وقلج أرسلان الرابع أن يعيدا المدن والقلاع التي كان المسلمون قد فتحوها قبل ذلك إلى ملك أرمينيا، وهذا لتوسيع مُلك الملك الأرميني، وليس للسلطانين فرصة للاعتراض فسلما ما تحتهما من المدن والقرى إلى ملك أرمينيا.

ثالثاً: يكافأ بوهمند أمير أنطاكية على تأييده لهولاكو، فأعطاه مدينة اللاذقية المسلمة، وكانت قد حررت من الصليبيين أيام صلاح الدين الأيوبي، وظلت مسلمة إلى أُهديت بكلمة واحدة إلى النصارى[41]. وقرار إعطاء مدن السلاجقة إلى الملك الأرمني قرار مكايدة سياسية تعمّدها هولاكو لإذلال المسلمين.

ومما استعدى المسلمون على الأرمن قتلهم لعدد من وجوه الأمة الإسلامية وخاصة رجال من آل البيت ذكر منهم أبوالفرج الأصفهاني[42] عددا في كتابه مقاتل الطالبيين ومنهم محمد بن أحمد بن الحسن بن علي بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي قتلوه بشمشاط والعباس بن إسحاق وهو الذي يقال له المهلوس بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. قتله الأرمن بمدينة دبيل[43] الأرمينية.

ومما استعدى المسلمين على الأرمن اتصافهم بالغدر ففي غزو محمد بن مسافر اللكشري لهم ليبعدهم من الموصل وديار ربيعة، دخل أرمينية وسيطر على المناطق حتى زوزان وغنم الشيء الكثير، وكان بالقرب من زوزان قلعة لأطوم بن جرجين وهو قريب لابن الديراني ملك الأرمن. فسأل اللشكرى بمراسلة لطيفة أن يكفّ عن الأرمن لأنهم معاهدون يؤدون الأتاوة وأطمعه فى مال يحمل إليه صلحا فأجابه إلى ما طلبه، لكن أطوم تحايل على اللشكرى[44] واستدرجه إلى كمين نصبه في جبال المنطقة وقتله وقتل معه معظم أصحابه.

ومن غدر الأرمن استمالة ملكهم ابن لاون لقوم من التركمان ليرعوا في مراعي بلده وأمنهم على ذلك فلمّا استقروا غدر بهم وأسرهم واستولى على أَموالهم وكان المسلمون يشكون من سوء أَفعاله كثيرا فرأى صلاح الدين الأيوبي ضرورة اقتحام بلاده فسار إليها واستباحهها وحاصر حصن القابوس ففر الأرمني وأَمر أهل الحصن المليئ بالغلات والأعلاف بالنزوح عنه وأضرام النار فيه فبادر المسلمون إلى إخراج الغلات وما أُودع فيها وَأمرهم صلاح الدين بهدم الحصن وتخريبه فخربوه فأذعن ابن لاون بالطاعة وبادر بإطلاق الأسارى المسلمين التركمان فكتب له صلاح الدين الأمان[45] .

ومن أسوء صنوف الغدر التعدي على الأهالي العزل الذين لا قدرة لهم في حتى الدفاع عن أنفسهم لأنهم يسلكون طريقا عبر بلاد الأرمن إلى وجهنهم ففي سنة 427هـ / 1035م دخل حجيج كُثر من أَذربيجان وطبرستان وغيرها أَرمينِية في طريقهم إلى الأماكن المقدسة ووصلوا إلى آني ووسطان فغدر بهم الأرمن وأَعانهم السناسنة، وهم من الأرمن الساكنون في الحصون المنِيعة قرب مدينة خلاط اتفقوا مع العامة من الرعِية الأرمن فسيطروا على موكب الحجيج وقتلوا منهم كثيرًا وأسروا وسبوا ونهبوا الأموال وحملوا ذلك أَجمع إلى الروم وطمعَ الأرمن في تلك البلاد فسمع نصر الدولة بن مروان الخبر فجمع العساكر وعزم على غزوهم فلما سمعوا بما ينويه راسله ملك السناسنة ووعد بإعادة جميع ما أَخذ أَصحابه وإطلاق الأسرى

---

[41] - راغب السرجاني، مرجع سابق، ج6، ص10.

[42] -، أبو الفرج الأصبهاني: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، (ب ت) بيروت،ج1، ص555.

[43] -. نفس المرجع، ج1، ص550.

[44] - مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (المتوفى: 421هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، سروش، طهران، الطبعة: الثانية، 2000 م، ج6،،ص10

[45]. ابن المظفر: محمد بن عمر المظفر بن شاهنشاه الأيوبي، مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق: الدكتور حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، ص42.

والسبي فأجابهم إلى الصلح وعاد عنهم لحصانة قلاعهم، وَكثرة المضايِقِ في بلادهم ولأنهم بالقرب من الروم، فخاف أَن يستنجدوا بهم فصالحهم[46].

وفي أيام الحملات الصليبية وصل ملك ألمانيا المشارك في الحملة الصليبية الثالثة إلى بلاد الأرمن وصاحِبها لافون بن اصطفانة بن ليون فأَمدهم بالأقوات للجند والعلف للدواب وأظهر الطاعة لهم[47].

ومن غدر الأرمن بالسلمين عندما دخل الدمسْتق النقفور ملك الأرمن مدينة حلب في مائتي ألف مقاتل سنة 351هـ / 962م، ففرمن بين يديه على إثرها صاحبها سيف الدولة ففتحها عنوة وقتل من أهلها من الرجال والنساء وخرب دار سيف الدولة، ونهب أَموالها وحواصلها، وكان الدمسْتق من أَغلظ الملوك قلبا، وأكثرهم قتلا وقتالا للمسلمِين في زمانه سيطر على كثير من السواحل انتزعها من أَيدي المسلمِين قسرا، وبالغ في الاجتهاد في قتال الإسلام وأَهله، فكان لا يدخل بلدا للمسلمين إلا قتل المقاتلة وبقية الرجال، وسبى النساء والأَطفال، وجعل مسجدها إصطبلا لخيوله، وكسر منبرها، وكتب مبتهجا بانتصاره في حلب قصيدة طويلة أرسلها إلى الخلِيفة المطيع لله، نظمها له بعض كُتابه ممن كان يجيد العربية يفتخر فيها بنصره ويسب الإسلام والمسلمين، ويتوعد فيها أَهل الإسلام بأَنه سيتملّك بلادهم كلها حتى الحرمين الشريفين، عما قريب وأنه سيَنتصِر لدِين المسيح عليه السلام، وقد ورد في مطلعها على لسان ناظمها في كتاب ابن عساكر نقلا عن كتاب صلة الصلة للفرغاني[48]:

من الملك الطهر المسِيحي مالك إلى خلف الأَملاك من آل هاشم
إلى الملك الفضيل المطِيع أَخي العلا ومن يرتجى للمعضلات العظائم
أما سمعت أذناك ما أنا صانع ولكن دهاك الوهن عن فعل حازم
فإن تك عما قد تقلدت نائما فإني عمّا همني غير نائم
ثغوركم لم يبق فيها لوهنكم وضعفكم إلا رسوم المعالم
فتحنا الثغور الأرمنية كلها بفتيان صدق كالليوث الضراغم

وقد ردّ أبِو محمدِ بن حزم الفقيه الظاهري الأندلسِي[49] على تلك القصيدة بقصيدة طويلة جدا قال فيها مرتجلا عضبا لله ولرسوله ولدينه وجاء في مطلعها:-

من المحتمي بالله رب العوالم ودِين رسول الله من آل هاشم
محمد الهادي إلى الله بالتقى وبالرشد والإسلام أَفضل قائم
عليه من الله السلام مرددا إلى أَن يوافي الحشر كل العوالم
إلى قائل بالإفك جهلا وضلة عن النقفور المفتري في الأعاجم
دعوت إماما ليس من أمرائه بكفيه إلا كالرسوم الطواسم
دهته الدواهي في خلافتِه كما دهت قبلهُ الأملاك دهم الدواهِمِ

وبقي الدمستق مقيما فى بلدان الإسلام أحد عشر يومًا وفتح حول عين زربة أربعة وخمسين حصنا منها بالسيف ومنها بالأمان. وكان من بين الحصون التي فتحت بالأمان حصن أمر أهله بالخروج منه فخرجوا فتعرّض بعض الأرمن للنساء اللواتي خرجن منه، فغار رجالهن عليهن وجرّدوا سيوفهم، فاغتاظ الدمستق منهم وأمر بقتل الجميع وكانوا أربعمائة رجل، وقتل النساء والصبيان ولم يترك إلا جارية حدثة أو من يصلح أن يسترق.

وفي سنة 352هـ/963م هاجم قوم من الأرمن الرّها فاستاقوا منها خمسة آلاف رأس من الغنم وخمسمائة رأس من البقر والدواب وأسروا نفرا من المسلمين وانصرفوا[50] .

---

[46] - ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام ، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1417هـ / 1997م.، ج7، ص777.

[47] -، ابن شداد: أبو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي،، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية - سيرة صلاح الدين الأيوبي، تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1415 هـ / 1994 م، ص93.أيضا:- ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج10، ص83.

[48] - إبن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، 1408، هـ / 1988 م ج11، ص277.

[49] - نفس المرجع، ج11، ص277-285.

[50]- مسكويه، مرجع سابق، ج6، ص227.

وفي سنة 602هـ/1202م أغار ابن ليون الأرمني على أطراف حلب فنهب وحرق وأسر وسبى فجمع الملك الظاهر غازي بن صلاح الدّين يوسف صاحب حلب عساكره واستنجد غيره من الملوك فجمع كثيرا من الفرسان وسار نحو ابن ليون فالتقوا وتقاتلوا، وانهزم المسلمون، وظفر الأرمن بأثقالهم فغنموها ورحلوا بها فصادفهم المسلمون الذِين كانوا قد ساروا مع الذخائر (إلى دربساك) فاقتتلوا ثانية أشدّ اقتتال لكن المسلمون انهزموا أيضا، وعاد الأرمن إلى بلادهم بما غنموا واعْتصموا بجبالهم وحصونهم[51].

لما نزل الصليبيون بأنطاكيا تجمع لهم جند المسلمين من جميع الجهات لكن خانهم رجل من الأرمن يُدعى الزراد فخرج من البلد حاكمها المسلم يغي سيان فقتله الأرمن وحملوا رأسه إلى الصليبيين ومات من المسلمين في ذلك اليوم في سنة 491هـ/ 1098م عدد كبير ونهبت الأموال والآلات والسلاح، وسبي من كان بأنطاكية ووصل هذا الخبر إلى منطقة عم وانب، فهرب من كان بها من المسلمين وتسلمها الأرمن، ونهب من المسلمين من الآلات والخيام والكراع والغلات ما لا يحصى، ومن انقطع من العسكر نهبه الأرمن وعاد الفرنج إلى قلعة أنطاكية، وبها أحمد بن مروان، فراسلوه وأمنوه ومن كان معه، وسلمها إليهم يوم الأحد الثاني من شعبان من السنة، وأنزلوه في دار بأنطاكية، وأطلقوا أصحابه وسيروا معهم من يوصلهم إلى أعمال حلب، فخرج الأرمن فأخذوا بعضهم وقتلوا بعضهم، ولم يسلم منهم إلا القليل[52].

وأن جماعة من الأرمن بالرها أرادوا الإيقاع بمن كان فيها من المسلمين فانكشفت نيّتهم، فتوجه قائد مسلم من حكام الموصل نحوها، وقابل من نوى الفساد بالقتل والصلب[53]. وفي سنة642هـ/1244م سيّر السلطان غياث الدين جيشا عظيما الى مدينة طرسوس فحاصرها مدة وضيّق عليها وكاد أن يفتحها عنوة لكن مات السلطان غياث الدين في تلك الأيام. فلما بلغ الجيش خبر موته رحل عنها وكان الوقت خريفا فتوحّلت خيولهم فنال منهم رجّالة الأرمن وغنموا اثقالهم[54].

كان الأرمن ملكوا مدينة سيس وطردوا من كان بها من المسلمين في سنة735هـ/ 1335م وافسدوا وخربوا في أذنة وطرسوس فأحرقوا الزروع واستاقوا المواشي وغنموا وأسروا، وكان عسكرهم نحوعشرة آلاف سوى من تبعهم، فلما علم أهل اياس بذلك تأسوا بهم فأحاطوا بمن عندهم من المسلمين التجار وغيرهم وحبسوهم في خان[55] ثم أحرقوه وقلّ من نجا، فعلوا ذلك بنحو ألفي رجل من التجار والبغاددة وغيرهم. وبعد مدة سار العسكر من مصر والشام بقيادة ملك الأمراء بحلب علاء الدين الطنبغا إلى بلاد الأرمن ونزلوا على مينا أياس وحاصروها ثلاثة أيام، ثم قدم رسول الأرمن من دمشق ومعه كتاب نائب الشام بالكف عنهم على أن يسلموا المدن والقلاع التي شرقي نهر جيحان، فتسلموا ذلك منهم وهو ملك كبير ومدن كثيرة كالمصيصة وكوبرا والهارونية وسرفندكار واياس وباناس ونجيمة والنقير وغير ذلك، فخرب المسلمون برج اياس الذي في البحر. قال ابن الوردي: وهذا فتح اشتمل على فتوح، وترك ملك الأرمن جسداً بلا روح[56].

القضاء على الأرمن:

خدم الأرمن لصالح الصليبيين إذ لما وصل ظهير الدين أتابك حاكم دمشق إلى حلب في سنة513هـ / 1119م للاجتماع مع نجم الدين على أمر مقرر بينهما وجد التركمان قد اجتمعوا إليه وروجير صاحب انطاكية في من جمعه وحشده من طوائف الافرنج ورجالة الأرمن فكان عددهم يزيد على العشرين ألف فارس وراجل سوى الأتباع وكان هذا العدد الكثير في أتم عدة بشرمدا وقيل دانيث البقل بين انطاكية وحلب[57]، ومع أن

---

[51] - ابن الأثير، مرجع سابق، ج10، ص226.

[52] -. ابن العديم:كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي،زبدة الحلب في تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1417 هـ /1996 م، ص241.

[53] - نفس المرجع، ص226.

[54]- ابن العبري، مرجع سابق، ص255

[55] - الخان دار كبيرة تنزلها السابلة وخاصة القوافل وهي بمثابة الفنادق حاليا.أبوالفرج الأصفهاني، مرجع سابق، ج1، ص370.

[56] - ابن الوردي: زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، 1417هـ / 1996م ج2/ص200. أيضا:- محمد بن عبد الرزاق بن محمد، كرد علي، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، الطبعة: الثالثة، 1403 هـ / 1983 م، ج2، ص144.

[57] - إبن القلانسي، مرجع سابق، ص319.

هذا التجمع التركماني الصليبي الأرمني قد هُزم شر هزيمة بحيث لم يفلت منهم أحدا إلا أن هذا التجمع وجّه اهتمام صلاح الدين الأيوبي بضرورة القضاء على شوكة الأرمن قي مصر، فأحرق داراً لهم بين القصرين وفيها عدد كبير من الجنود الأرمن، معظمهم من الرماة ولهم رواتب من الحكومة، مستغلا محاولة الأرمن عرقلة حركة قواته أثناء المعركة مع الجنود السودان برميهم بالنشّاب ونفى من تبقّى منهم إلى الصعيد[58] .

وفي سنة 664هـ/1263م بعث البندقدار صاحب مصر إلى حاتم ملك الأرمن بسيس طالبا منه الدخول في طاعته وحمل الجزية وتمكين الناس من شراء الخيل والبغال والحنطة والشعير والحديد من بلده وفي المقابل يمكن للأرمن دخول الشام للمتاجرة ولكن ملك الأرمن لم يجبه الى ذلك خوفا من المغول، فأرسل البندقدار جيشا الى بلدهم لكن حاتم خرج إلى الروم يطلب النجدة من أمير المغول نفجي ولم يتحقق له شيئ، فهجم المصريون على الأرمن وتقاتلوا معهم في منطقة حجر سروند وانهزم الأرمن وقُتل ولد حاتم وأُسر الآخر وانهزم الأمراء والعسكر. ونُهبت وأُحرقت سيس وكان الخراب كبيرا في سيس وإياس ومكث جند صاحب مصر هناك مدّة عشرين يوما ينهبون ويحرقون ويسبون. وبعد خروجهم من البلد وصل الملك حاتم وقد صحب معه عسكرا من المغول والروم ووجدوا البلد خرابا[59] .

الأرمن بين الصليبيين والروم البيزنطيين

من الطبيعي أن تكون العلاقة بين الأرمن والروم البيزنطيين في غالب الوقت علاقات ودية فالطرفين نصارى وإن اختلفت المذاهب لأن الأرمن كانوا أقرب في اعتقاداتهم إلى الكاثوليكية بينما كان البيزنطيون إرثوذكسا ومن نماذج الإتفاق بين الجانبين في سنة 319هـ /932م كاتب ابن الدّيراني وغيره من الأرمن وهم بأطراف أرمينية الروم وحَثوهم على قصدِ بلاد الإسلام ووعدهم النصرة فسارت الروم في خلق كثير فخربوا بزكرى وبلاد خلاط وما جاورها فقتلوا من المسلمين وأسروا خلقا كثيرا فبلغ خبرهم مفلحا غلام يوسف بن أبي الساج وهو والي أذربيجان فسار في عسكر كبير وتبعه كثير من المتطوعة إلى أرمينية فوصلها في رمضان، وقصد بلد ابن الدّيران وقتل أهله ونهب أَموالهم، وتحصن ابن الدّيراني بقلعة له وبالغ الناس في ذكر عدد القتلى من الأرمن، فذكر البعض أنهم كانوا مائة ألف قتيل.

وفي زمن الخليفة العباسي المقتدر بالله هناك إشارة إلى توافق بين الأرمن والروم ضد المسلمين فقدَ سار الروم إلى سميساط وحاصروها فاستصرخ أهلها بسعيد بن حمدان، وَكان المقتدر قد ولاه الموصل وديار ربيعة وشرط عليه غزو الروم وأن يستنفذ ملطية منهم وَكان أهلها قد ضعفوا وصالحوا الروم وسلموا مفاتيح البلد إليهم، فلما جاء رسول أهلِ سميساط إلى سعيد بن حمدان تجهز وسار إليهم مسرعا فوصل وقد كان الروم يفتحونها، فلما قاربهم هربوا منه وسار منها إلى ملطية وبها جمع من الروم ففروا منها فعيّن عليها أميرا[60].

وقد حدث في مرات قلائل اختلاف بين الأرمن والروم خاصة في المسائل التي تتعلق بالتدين والعمل وفق توجيهات المذاهب الدينية فقد كتب يوسطينيانس الى جميع الاساقفة ان يُعيِّدوا عيد الميلاد في الخامس والعشرين من كانون الاول، والدنح لستة ايام من كانون الأخير. فامتثلوا لأمره سوى الأرمن فإنهم تمسّكوا بتقليدهم الاولي في تعييد العيدين في يوم واحد[61] .

معركة ملاذكرت

تُعرف المعركة أسماء مثل مانذكرت أو ملاذكرت أو ملاسجرد أو منزبكرت اصطدم فيها حاكم سلاجقة الروم ألب أرسلان برومانوس حاكم البيزنطيين في سنة463هـ/1071م وتغلب السلاجقة عليهم غلبة ساحقة حملت البيزنطيين لطلب النجدة من أوربا الغربية بإعتبار أن النصرانية أصبحت مهددة في وجودها بالشرق المسلم، وبذلك مثل هذا سببا من أسباب الحملات الصليبية على بلاد المسلمين .كانت أرمينيا مهمة لبيزنطة

---

[58] - عَلي محمد محمد الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1429 هـ / 2008 م، ص183.

[59] -. إبن العبري، مرجع سابق، ص285.

[60] - ابن الأثير: مرجع سابق ج6،ص764.

[61]-أبو الفداء عماد الدين مرجع سابق، 3ج، ص12.أيضا:- ابن الغبري، مختصر تاريخ الدول، ص88.

في سياستها التوسعية لمنع وقوع هجمات عليها قد تنطلق منها أو من جهة أخرى لذلك لم يكن بوسع بيزنطية أن تفرط بهذه البلاد بعد أن خسرت ممتلكاتها في الجنوب، وذلك لعدة أسباب لعل أهمها:
- إن أرمينية غنية بمواردها المعدنية، والأخشاب والقوة البشرية التي تغذي الإمبراطورية.
- جعلت الفتوح الإسلامية، الأرمن، أكثر أهمية للبيزنطيين من ذي قبل.
- تسيطر أرمينية على بعض الطرق التجارية الرئيسة التي تربط القسطنطينية بالتجارة الشرقية، ويمكن إدراك هذه الأهمية التجارية لبيزنطية بعد خسارتها بلاد الشام،وإقليم الجزيرة.
- كان الأرمن حلفاء طبيعيين لهرقل وقد منحهم دورا مهمًا في حملاته ضد المسلمين.
- جمعت البيزنطيين والأرمن مصلحة سياسية مشتركة، وهي الدفاع عن مواقع عسكرية استراتيجية في أطراف شمالي بلاد الشام، وإقليم الجزيرة، وهو المجال الحيوي لأرمينية، هذا على الرغم من الاختلاف الديني بين الكنيستين البيزنطية، والأرمينية الذي أثر بشكل، أو بآخر على العلاقات بين الطرفين، مهما يكن من أمر، فقد أطل المسلمون على الربوع الأرمينية بعد أن دان لهم إقليم الجزيرة الفراتية[62].

عندما وصل الصليبيون إلى منطقة أرمينية في جبال طوروس أمد لهم سكانها من الأرمن المسيحيين يد المساعدة وأحسنوا استقبالهم ومعاملتهم، وزودوهم بكل ما كانوا يحتاجون إليه من مؤن وأقوات، ولولا ذلك لأخفق الفرنج في مواصلة الزحف ولألحق بهم السلاجقة الهزيمة، ولكن هذه المساعدات التي تلقوها من الأرمن هيأت لهم الجو لمواصلة العدوان لكن بدخول المغول إلى المنطقة اضطربت وتقلبت سياساتهم.وقد أورد المؤرخ ابن الأثير حديثا مطولا عن حال الأرمن وصلتهم بالروم في آسيا الصغرى في النصف الأول من القرن السابع الهجري فذكر الفتنة بين الصليبيين الفرنج والأرمن ومن خلالها يتضح تقلب المصالح الأرمنية بين المسلمين والصليبيين والمغول والروم فذكر في أحداث سنة624هـ/ 1226م أن البرنس الفرنجي صاحِب أَنطاكِيةَ جمع جموعا كثِيرة وقصد الأرمن الذِين فِي الدروب بلاد ابن ليون فكان بينهم حرب شدِيدة. وذلك بسبب أن الأرمن زوجوا ابنة ملكهم صاحب الدروب المتوفي ولم يخلّف ولدا ذكرا بولد البرنس وهو من الفرنج ثم ندموا على فعلتهم لما خافوا على بلدهم فقبضوا على إبن البرنس وسجنوه، فطلب أبوه أن يطلقوا سراحه ويُعاد في الملك فأبى الأرمن ولذلك استأذن من بابا ملك الفرنج برومية الكبرى لقصد بلادهم ومحاربتهم فمنعه عنهم، لأنهم أهل ملتهم ولا يجوز قصد بلادهم، فصرف نظره عن بابا على إثر ذلك وراسل علاء الدين كيقباذ ملك قونية وملطية وما بينهما من بلاد المسلمين والذي صالحه ووافقه على محاربة ابن ليون وجمع البرنس عساكره ليسيِر إلى بلاد الأرمن، فخالفته الداوية والإسبتارية، وهما جمرة الفرنج مستمسكين بنهي بابا ملك رومِية إلا أَن غيرهم أطاعوه، فدخل أطراف بلاد الأرمن وَهي مضايِق وجبال وَعرة فلم يتمكن من فعل ما يريد. وأما كيكاوس السلجوقي فقد قصد بلاد الأرمن من جهته وهي أسهل من جهة الشام، فدخلها سنة 622هـ/ 1225م فنهبها وأحرقها وحصر عدة حصون ففتح أربعة منها، فلما سمع بذلك بابا ملك الفرنج برومية أرسل إلى الفرنج بالشام يعلمهم أنه قد حرم[63] البرنس فكان الداوية وَالاسبتارِية وكثير من الفرسان لا يحضرون معه، ولا يسمعون قوله، وَكان أَهل بلاده إنطاكية وطرابلس إذا جاءهم عيد يخرج من عندهم فإذا فرغوا من عيدهم دخل البلد. ثم أَرسلَ البرنس إلى ملك رومِية مرة ثانية يشكو من الأرمن، وأَنهم لم يطلقوا ولده، ويستأذنه في أَن يدخل بلادهم وَيحاربهم، فأَرسل إلى الأرمن يأمرهم بإطلاقِ ابنه وإعادته إلى الملك فإن لم يستجيبوا فإنه يأذن للبرنس بقصد بلادهم، لكن الأرمن لم يستجيبوا فجمع البرنس جيشه وقصد بلاد الأرمن والذين بدورهم أَرسلوا إلى الأَتابك شِهاب الدين بحلب يستنجدونه ويخوفونهُ من البرنس إن استولى على بلادهم لأنها تجاور أعمال حلب، فأمدّهم بجند وسلاح، فلما سمع البرنس بذلك أصرّ على محاربتهم، فسار إليهم وحاربهم لكنه لم يجن شيئا[64].

لما قصد الفرنج حران إتفق جكرمش صاحب الموصل وسقمان بن أرتق ومعه التركمان وتحالفوا وقصدوا الفرنج واجتمعوا على الخابور، والتقوا مع الفرنج على نهر البليخ، ستة497هـ / 1104م وانتصروا على الفرنج، وقتلوا منهم خلقا كثيرا وأسروا ملكهم القومص[65] ولهذه المعركة نتائج بالغة الأهمية للأرمن وعلى

---

[62] - د محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص284.
[63] -أي انه أصدر قرارا بالحرمان وفي هذه الحالة ووفق تعاليم الكاثوليكية فإنه لا يُطاع وسلطته غير شرعية ويمكن انتهاب ماله وأملاكه.
[64] - ابن الأثير مرجع سابق، ج10، ص419.
[65] - أبو الفداء عماد الدين مرجع سابق،ج2،ص217.

الصعيدين الإسلامي والصليبي أيضا، ولعل أهم نتائجها للأرمن أنها قرَّرت مصير إقليم الرها. ذلك أن هذه الإمارة تعرضت لكثير من المتاعب الداخلية التي أضعفتها وبخاصة من جانب الأرمن الذين سرعان ما أبدوا تذمراً من حكم الصليبيين بفعل تعسف هؤلاء مع الكنسية الأرمينية، واضطهاد رجالها مما دفع الأرمن إلى الاتصال بالأتراك وأضحى احتمال سقوطها في أيدي المسلمين وشيكا[66].

ملك الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكي بن أق سنقر حلب، عند ذلك في سنة 541م / 1146م . ووصل إليه صلاح الدين الياغيسياني يدبر أموره ويقوم بحفظ دولته، وحينها راسل جوسلين الفرنجي أهل الرها وعامتهم من الأرمن، وحرضهم على العصيان وتسليم البلد إليه، فأجابوه إلى ذلك، ووعدهم بالقدوم إليهم، وبالفعل سار إليهم وفي طريقه سيطر على ملك البلد، وامتنعت القلعة فقاتلها، فبلغ الخبر نورالدين محمود بن زنكي وهو بحلب، فسار إليها في عسكره، فخرج جوسلين هارباً. ودخلها نور الدين فنهبها وسبى أهلها، وخلت منهم، فلم يبق بها منهم إلا القليل[67].

في سنة ست 605هـ / 1208م توفي بسيل الأرميني صاحب بلاد سيس، فقصدها صاحب أنطاكية الفرنجي ليحتلها، فمات في الطريق وملكها سيرجال[68]. ومن كل ما سبق ذكره يُلاحظ تأرجح علاقات الأرمن وعدم استقرارها على حليف واحد بين القوى المحيطة بهم خاصة وأنهم لم يكونوا دولة جامعة لقوميتهم في آسيا الصغرى لذلك قلما كسبوا مكسبا سياسيا أو اقتصاديا ودام لهم أو طال أمده فقد قاتلوا المسلمين كثيرا لكنهم احتاجوا أن يتحالفوا معهم أحيانا وتحالفوا مع البيزنطيين لكنهم قاتلوهم كما تحالفوا مع الصليبيين وعادوا وقاتلوهم وكذا الحال مع الروس لما اتكئوا عليهم وعاد الأمر إليهم باستعمار روسي وحتى العثمانيين الذين سكن الأرمن في ديارهم وشكلوا أقلية سكانية معتبرة وتعايشوا مع السلطات الحاكمة إلا أنهم عادوا واختلفوا معها وأثاروا لها المتاعب لما ثاروا ضدها.

الأرمن والعثمانيون

تجنّس عشرات الأرمن بالجنسية العثمانية بفضل وجودهم فيها لأجيال وفي زمن السلطان عبدالحميد أصبحوا بالملايين وسكنوا في العاصمة والمدن الكبيرة وأصبحوا أثرياء وتقلدوا الشئون المالية والوظائف العالية والرتب السامية وكانوا على وفاق تام مع الأتراك[69] لكنهم وفي سبيل إنشاء دولة أرمينيا نذروا أنفسهم أدلاء لروسيا القيصرية، وقامت عصابات الطاشناق والهنشاق بنشر الرعب في الأناضول والقيام بالاغتيالات والتمرد ليخلقوا السبب لتدخل الدول الأوربية ثم أنهم سايروا اليهود في محاولات اغتيال السلطان عبدالحميد عند خروجه من صلاة الجمعة في يلدز وحاولوا حرق البنك العثماني وتعاونوا مع الصهيونية[70] لأبعد حد لتحقيق هدفهم المشترك وهو القضاء على الدولة العثمانية. عندما أرادوا ضرب الجيش العثماني من الخلف أثناء الحرب العالمية الأولى وخلال التحريات التي أُجريت لهم في أماكن عبادتهم عُثر على أسلحة روسية كثيرة لذا قررت جمعية الإتحاد والترقي تهجيرهم فلحق الظلم ببعضهم بسبب التهجير. وهكذا وصموا أنفسهم بصفة الغدر لدى العثمانيين.

انحرفت سياسة المابين[71] عن بريطانيا الملحة في طلب القيام بالإصلاحات وتغيير الإدارة المستبدة الظالمة واتجهت نحو ألمانيا التي لا ترى بأسا في إدارة الدولة بالقسر الاستبدادي فجنح بعض ساسة الإنجليز نحو الأرمن ومالوا إليهم وساعدوا جمعيتهم السرية الموجودة في لوندرة وأشار إليهم جلادستون بالهيجان حتى

---

[66] - عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، ص70

[67]- ابن العديم، مرجع سابق، ص229.

[68] - أبو الفداء عماد الدين، مرجع سابق، ج2، ص226

[69] - روحي الخالدي، الإنقلاب العثماني وتركيا الفتاة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013م، ص50

[70] - مصطفى طوران، أسرار الإنقلاب العثماني، ترجمة كمال خوجة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الرابعة 1985م، ص45-46

[71] - بين السراي والباب العالي ناس يقال لهم المابين لأنهم بين الأندرون (الداخل) وبين البيرون (الخارج) ويشملون الكتاب والقرناء فهم المابينية وكلهم من أهل السراي وخدمتها فهم طائفة من الموظفين والوسطاء لعبوا حلقة وصل بين الحياة الدينية والحياة الدولية والمسائل النسائية والمسائل السياسية وأكثرهم لا خبرة لهم بالسياسة. روحي الخالدي، مرجع سابق، ص51.

إذا حدثت في البلاد مذابح كمذابح البلغار هاجت الأفكار العمومية في أوربا وتسنى لحكوماتها التدخل لطلب الإمتيازات لأرمينيا كما حدث في البلغار والجبل الأسود والصرب وذلك بنص المادة الحادية والستون من معاهدة برلين[72].

في سنة 1312هـ/1894م اشتعلت نيران الحادثة الأرمنية وحصلت مذابح ساسون وخربت ثلاثون قرية من قراهم وسبب ذلك أن أحزاب الهنشاق الديمقراطي الاجتماعي وحزب الطاشناق كانتا منظمتان أرمينيتان من الحركة الوطنية الأرمينية التي كانت نشطة في المنطقة تحرض الأرمن وتدعوهم للتجمع والتمرد . وفي عام 1312هـ /1894م بدأ السلطان عبد الحميد الثاني استهداف الأرمن في خطوة تمهيدية للمجازر الحميدية. وقد عزز هذا الاضطهاد المشاعر القومية بين الأرمينيين فوقعت أول معركة حينما واجه الأرمينيون في ساسون الجيش العثماني والقوات غير النظامية الكردية لكن استسلمت أعداد كبيرة منهم رغم أن حزب الطاشناق لعب دورًا هامًا في تسليح أبناء المنطقة ووحدثت المذابح تلك في فترة حكم السلطان عبدالحميد الثاني (1876م-1908م) ومتولي السلطة الصدر الأعظم جواد باشا الذي تشاغل وأهمل التعامل مع هذه الجرائم متخذا سياسة الحلول المؤقتة لوقف الإعتداءات بل اتخذ سياسة المماطلة في وقت كانت فيه أوربا ولاسيما بريطانيا واقفة بالمرصاد ومحدقة في أحوال العثمانيين الداخلية لتتصيّد الهنات والزلات لمحاسبة العثمانيين وليس ذلك بالأمر الصعب خاصة وأن مدبري السياسة العثمانية حينها والمشهورين برجال المابين .

احتج وكلاء الأنباء الأجانب بشدة ضد أحداث ساسون[73] وأُطلق على السلطان عبد الحميد اسم المجرم العظيم أو السلطان الأحمر. واحتجت بقية الدول العظمى أيضًا وطالبوا بتنفيذ الإصلاحات الموعودة من عبد الحميد. وتم إرسال لجنة تحقيق مؤلفة من ممثلين فرنسيين وبريطانيين وروس إلى المنطقة من أجل دراسة الموقف.

الخـاتمة

من مجمل ما سبق يتضح أن اتهام المسلمين للأرمن بأنهم العدو اللدود لم يأت من فراغ، ذلك لأن الأرمن لم يتمكنوا من تكوين دويلة لهم في مناطق الثغور الإسلامية بل كانوا مبعثرين في مدن وقرى وقلاع وعلاقاتهم متقلبة بين المسلمين والروم والصليبيين والمغول إذ سكنوا مبعثرين بين المسلمين والروم فكانوا تارة في عداوة مع المسلمين يقاتلونهم أو يشتركون مع من يقاتلهم، وتارة أخرى في عداوة مع الروم حسبما تقتضي المصلحة وقد ساعد على هذا الحال الوضع العام لدويلات المنطقة منذ أواخر القرن الثالث الهجري، فحروب الدولة البيزنطية التي كانت شرسة مع الدولة الإسلامية عبر تاريخها توقفت لأنها في ذلك الوقت وصلت إلى درجة من الضعف لا تسمح لها بدخول الأراضي الإسلامية، كما أن الدولة الإسلامية نفسها تمزقت إلى دويلات عديدة ضعيفة ومتفرقة وحتى المجتمع الصليبي الجديد في المنطقة تبعثر في قرى ومدن وقلاع استأثر بكل منها حاكم لا يدين بالولاء لأحد.

النتائج

توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها: -

- لم يحقق الأرمن شيئا في الأناضول ومناطق الثغور رغم اجتهادهم للمحافظة على ذاتهم وهويتهم خارج أرضهم الأم، حيث اختاروا دائما الوقوف إلى جانب الطرف الأقوى عسكريا لأن الأحداث في المنطقة كانت متسارعة ومتقلبة.
- بدخول الصليبيين منطقة الشرق المسلم واكتساح المغول للمنطقة بان الخطر الذي تمثله القومية النصرانية الكاثوليكية الأرمنية على الأمة المسلمة..

[72] - روحي الخالدي، مرجع سابق، ص49.
[73] - مصطفى طوران مرجع سابق، ص45-46

-ومن خلال الصراع الطويل بين المسلمين والصليبيين والمغول في الشام وآسيا الصغرى يلاحظ أن الأرمن في أكثر الحالات كانوا معادين للمسلمين مما جعلهم في موضع اتهام دائم.

-قتل الأرمن لعدد من وجوه الأمة الإسلامية وخاصة رجال من آل البيت استعدى المسلمين عليهم

المصادر والمراجع

1-ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1417هـ / 1997م.

2- إبن العبري: أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون بن توما الملطي، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق للنشر، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1992 م

3- ابن العديم: كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، زبدة الحلب في تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1417 هـ /1996 م.

4- إبن القلانسي: حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي، تاريخ دمشق
تحقيق: د سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق الطبعة: الأولى 1403 هـ / 1983 م .

5- ابن المظفر: محمد بن عمر المظفر بن شاهنشاه، الأيوبي، مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق: الدكتور حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة (ب ت)

6- ابن الوردي: زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر بن محمد، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ / 1996م ج2، ص200.

7- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت . الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م .

8- ابن شداد: أبو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية -سيرة صلاح الدين الأيوبي، تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1415 هـ / 1994 م،

9- ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ / 1995 م.

10- ابن فضل الله العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، 1423 هـ/ 2001م.

11- إبن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1408، هـ / 1988 م .

12- أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان تقديم: أبو بكر الجزائري - محمد صفوت نور الدين - محمد عبد المقصود، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة،(ب ت).

13- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة: الأولى (ب ت)

14- أبو الفرج الأصبهاني: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم، مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، (ب ت).

15- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988 م.

16- الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2003 م .

17- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، الطبعة: الثانية - 1387 هـ /1960م.

18- المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ /1997م .

19- الواقدي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي المدني، فتوح الشام، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1417هـ / 1997م.

20- اليعقوبي: أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ/2002م
.

21- جلال الدين السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى: 1425هـ/2004م .

22- راغب السرجاني: التتار من البداية إلى عين جالوت، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net. الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 12 درسا.
23- روحي الخالدي، الإنقلاب العثماني وتركيا الفتاة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013م.

24- صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، 24 تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت،1420هـ/2000م
25- علي محمد محمد الصَّلاَّبي، القائد المجاهد نور الدين محمود زنكي شخصيته وعصره من الصليبيين، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، 1428 هـ / 2007 م.
26- علي محمد محمد الصَّلاَّبي، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامى لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2006 م، ص17.
27- علي محمد محمد الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، دار المعرفة، بيروت، لبنان،الطبعة: الأولى، 1429 هـ / 2008 م

28- قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج، الخراج وصناعة الكتابة، دار الرشيد للنشر، بغداد، الطبعة: الأولى، 1981 م.
29- كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي، نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، حلب، الطبعة: الثانية، 1419 هـ/ 1999م.
30- مجموعة من المؤلفين الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، نقلا عن: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي. (ب ت) .
31- محمد سهيل طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى 1424هـ /2003م.
32- محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق
الطبعة: الثالثة، 1403 هـ / 1983 م.
33- مسكويه: أبوعلي أحمد بن محمد بن يعقوب (المتوفى: 421هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، سروش، طهران، الطبعة: الثانية، 2000 م.
34- مصطفى طوران، أسرار الإنقلاب العثماني، ترجمة كمال خوجة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الرابعة 1985م.

35- ول ديورانت: ويليام جيمس ديورَانت، قصة الحضارة، تقديم: د. محيي الدّين صَابر ترجمة: د. زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1408 هـ / 1988 م،
36- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (المتوفى: 626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1995 م.